هموم كيسنجر ورأهل النظام المصري في المخطط الاميركي

انه لمن سوء حظ المستسلمين ، ان تجيء انتصارات الثورة الفيتنامية في هذه الايام ، لتكشف للجماهير العربية التحرير ... ان هؤلاء يسهمون بوعي او بدون وعي ، بتضليل الجماهير وايهامها ، بان مصر تتبع سياسة الحل الثنائي ، وعلينا ان (ننظم جميع القوى الفعلية من مواقع المعارضة الايجابية حتى لا تقع مصر في خندق التسويات الثنائية او تتمكن السنارة الاميركية من جر الحوت المصري الى جانبها) (٤) على حد تعبير ابرز مروجي هذه الفرية .

ان التضليل في ترويج مثل هذا الكلام يتضح اذا ما عرفنا طبيعة دور اهل النظام المصري في تنفيذ المخطط الاميركي المعد لهذه المنطقة . ولكن قبل الدخول في الكشف عما يريده مروجوا اشاعة انفراد مصر « لحل ثنائي » ورفع راية منعها من التورط في ذلك بـ (تصليب مواقفها الوطنية) ..

قبل ذلك لا بد من التوضيح ان التسوية الثنائية المقصودة التي يخشى دعاة الحل السلمي وقوع مصر في خندقها ، هي التسوية التي تعقدها مصر مع اسرائيل بتوجيه من اميركا ، لكي تخرج من دائرة التضامن مع سوريا ومع اهل منظمة التحرير الفلسطينية .

ان السؤال الآن هو : هل يمكن ان يقبل اهل النظام المصري الوقوع في خندق تسوية كهذه ، اي هل تقبل الطبقة البرجوازية الحاكمة في مصر ان تنفرد بتسوية ثنائية تنهي بموجبها حالة الحرب مع اسرائيل دون ان تكون سوريا واهل منظمة التحرير الفلسطينية مشاركين بهذه التسوية او مباركين لها ، كما حدث في وقف اطلاق النار وفك الارتباط على الجبهة المصرية ؟

ان الاجابة على هذا السؤال بالايجاب تنطوي على قدر كبير من التضليل والخداع ، لانها تتناقض مع الحقيقة القائلة بان السمة الغالبة على اهل النظام المصري هي الموالاة ان لم نقل العمالة لاميركا ، فاذا كانت سياسة اهل النظام المصري تقوم على اساس التحالف مع اميركا ، واذا كانت اميركا تريد من كل الجهد الذي تبذله من اجل تحقيق التسوية السياسية وانهاء حالة الحرب مع اسرائيل ، ان يكون وسيلتها لفرض نفوذها على المنطقة كلها فان خروج مصر من دائرة التضامن مع سوريا واهل منظمة التحرير الفلسطينية امر من شانه ان يفقد قدرة مصر على لعب دورها في تنفيذ المخطط الاميركي ، ذلك ان انفراد مصر بتسوية ثنائية مع اسرائيل ، لا يؤدي الى عزلتها فقط ، وانما يظهرها امام الملأ عارية على حقيقتها باعتبارها احدى مواقع النفوذ الاميركي والعمالة للامبريالية مما يفقد اهل النظام كل امكانية للادعاء بانهم ورثة تراث ثورة تموز ١٩٥٢ ، وهو الامر الذي ما زالوا يستخدمونه لتمويه جوهر سياستهم من جهة ، ومن شان العزلة ان تجعلهم عاجزين عن مواصلة الاضطلاع بدورهم الهادف تجنيد سوريا واهل منظمة التحرير الفلسطينية للضلوع مع المخطط الاميركي ، من جهة اخرى ، كما ان انفراد مصر وانعزالها من شانه ان يفقد السعودية الظلة المصرية التي تتحرك في ظلها ، فقدانا يضعف دورها ويضائل قدرتها على التحرك في المحيط العربي من جهة ثالثة ، وفضلا عن كل ما تقدم فان القول بان السياسة الاميركية تسعى لاخراج مصر من دائرة التضامن مع سوريا واهل منظمة التحرير ، لا بد ان يبنى على اساس ان اميركا تعد لحرب خامسة لا تكون مصر طرفا فيها ، بغية اسقاط النظام السوري واحتلال دمشق من جهة رابعة !

هذه هي النتائج المنطقية المترتبة على الادعاء بان السياسة الاميركية قائمة على اساس اخراج مصر من دائرة التضامن مع سوريا ومع اهل منظمة التحرير الفلسطينية وهي نتائج تحتم عودة اميركا الى سياسة العصى الغليظة واسلوب الاستعمار القديم ، وتعريض كل ما حققه كيسنجر من مكاسب للولايات المتحدة الاميركية في المنطقة للضياع والانهيار ، فهل يعقل حدوث ذلك ؟ ومن اجل ماذا ؟ اذا كان الغرض هو حسم موقف سوريا الذي يبدو وكانه يتذبذب بين اميركا والاتحاد السوفياتي وبتعبير ادق تبدو سوريا مترددة في موقفها احيانا وفائرة الحماس تجاه التحالف مع اميركا احيانا اخرى اذا كان هذا هو الهدف من العودة الى السياسة القديمة فان هذا الامر لا يتطلب مغامرة قد تدفع اميركا ثمنها غاليا ، ويكفي ان يتراءى لاميركا ان حربا خامسة تشنها اسرائيل ستكون بمثابة الزيت الذي يلقى على نار الثورة الشعبية التي تبذل اميركا وعملائها القدامى والجدد جهودا مثابرة من اجل اخمادها ... نقول يكفي ان يتراءى لاميركا مثل هذا الامر لكي تتجنبه ، ثم هل ان موقف سوريا على درجة من الصلابة بحيث انه يشكل تناقضا لا يمكن حله بغير الحرب ؟

ان السياسة السورية لا تتناقض مع السياسة المصرية الا جزئيا وضمن حدود التفاصيل التكتيكية ، وهي حدود بوسع مصر والسعودية واميركا تذليلها ، بالف وسيلة ووسيلة ، فهناك الجولان وانسحاب اسرائيل من معظم اراضيه وهناك ملايين الدولارات التي يحتاجها ميزان المدفوعات السوري وهناك الميول والاهواء الاميركية التي يتعاظم نفوذها في اوساط النظام السوري ويزداد يوما بعد يوم ، ازديادا من شانه تضييق شقة الخلافات الجزئية التكتيكية الامر الذي يفقد التفكير بالحرب مبرراته وحيثياته .

وفضلا عن كل ما تقدم فان هناك اسبابا تمنع الولايات المتحدة وتحول دون العودة للسياسة القديمة واخرى تدعوها الى الاستمرار على السياسة الحالية ويمكننا ان نوجزها بما يلي :

ان الازمة الاقتصادية الخانقة التي تعانيها الولايات المتحدة الاميركية خاصة والبلدان الرأسمالية على وجه العموم اولا ووجود المعسكر الاشتراكي وخاصة الاتحاد السوفياتي باعتباره قوة نووية رادعة لنزعة الحرب ثانيا ، اردت ان اقول ان الاوضاع الدولية ، تشكل اليوم عوامل رادعة تجعل الولايات المتحدة تحسب الف حساب قبل ان تقدم على اتخاذ قرار خطير كقرار العودة الى سياسة الاستعمار القديم خاصة بعد الدرس القاسي الذي لقنه اياها الثوار الفيتناميون والكمبوديون !

هذه هي الاسباب المانعة ، اما العوامل الداعية الى الاستمرار على السياسة الحالية ، سياسة الاستعمار الجديد ، فيمكن تبيانها بسهولة اذا ما القينا نظرة سريعة الى اوضاع منطقتنا العربية وقمنا بعملية حسابية لتناسب القوى في المنطقة . فسنجد ان هناك الانظمة الرجعية وسائر القوى السياسية والثقافية والاقتصادية التي ترتبط بالامبريالية برباط تبعية وعمالة . ويكفي ان نتذكر الدور الذي تلعبه السعودية والاردن في هذا الميدان ، لكي نعرف مدى قوة وتاثير هذه القوى ، والى جانب العملاء القدامى يقف حلفاء اميركا الجدد ، ولعل الاستقبال الذي حظي به نيكسون والثقة التي ما فتىء اهل النظام المصري وحلفائهم يمحضونها لكيسنجر وفورد ، تكفي لايضاح ان الانظمة البورجوازية الضالعة مع التسوية السياسية التي ترسمها اميركا للمنطقة تشكل قوى حليفة يمكن الرئيسية التي تعتمد عليها اميركا في رسم سياستها في المنطقة ، فاننا سوف ندرك ان اوضاع منطقتنا تدعو الولايات المتحدة وتشجعها على اتباع السياسة الكيسنجرية الراهنة !

فاذا كانت الولايات المتحدة الاميركية لا تجد العودة لسياسة العصى الغليظة لجملة الاعتبارات التي ذكرناها ، فلماذا يصر دعاة الاستسلام على ترويج اشاعة انفراد مصر بحل ثنائي يخرجها من دائرة التضامن مع سوريا ومع اهل منظمة التحرير ؟

ان الغرض واضح ، وهو تضليل الجماهير وايهامها بان انخراط المقاومة الفلسطينية في التسوية السياسية من شانه ان « يصلب » المواقع الوطنية ، مع ان الامر على العكس من ذلك تماما ، اذ ان اهل النظامين المصري والسوري سوف يستغلون سقوط المقاومة في مستنقع التسوية السياسية ليتخذوا منه غطاءا فلسطينيا لتزيين تصالحهم مع الحركة الصهيونية واعترافهم باسرائيل بعد ان ينهوا حالة الحرب معها ، لانهم يعرفون جيدا ، ان رفض المقاومة للتسوية من شانه ان يجردها من شرعيتها ويظهرها على حقيقتها باعتبارها صفقة خيانة لبيع فلسطين الى الحركة الصهيونية مقابل انسحاب اسرائيل من سيناء والجولان !

واذن ، فان مصر السادات لا يمكن ان تقدم على حل يخرجها من التضامن مع سوريا ومع منظمة التحرير ، فاذا ما اقدمت على اية خطوة او حل ثنائي بينها وبين اسرائيل ، فلا بد ان تكون قد اتفقت مسبقا مع سوريا ، للانفراد بعمل تتخذ منه سوريا ذريعة للسير على هدى مصر كما حدث عندما اقدمت مصر على ايقاف اطلاق النار في حرب تشرين ، اذ كانت سوريا موافقة ولكنها بادرت الى الادعاء بان مصر لم تاخذ رأيها ، علما بانها ، اي سوريا طلبت ايقاف اطلاق النار ثلاث مرات قبل ان توقفه مصر ، ولكنها كانت تتظاهر بعكس موقفها الحقيقي ، وكذلك ، فان مصر عندما اقدمت على ابرام اتفاق فك الارتباط فان سوريا كانت موافقة ، بدليل انها عقدت اتفاقا مماثلا ، ولكن بعد حرب تكتيكية استغرقت ثلاثة شهور من اجل ان توهم الجماهير بان فك الارتباط تم تحت ضغط وابل النيران ، اولا بدليل ان «خدام» استعار منطق اهل النظام المصري في اطراء كيسنجر وتقديم آيات الولاء له لانه على حد ادعاء السيد خدام « اول مسؤول اميركي نسمع من شفتيه اللفظ الواضح لهدف سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط » ، وكل هذا من اجل ان يتفضل ويمن عليهم بعقد اتفاق مماثل لما حصل على الجبهة المصرية ، من جهة اخرى !

الخلاصة ... والعبرة !

اولا ـ ان كيسنجر لم يفشل وانما اعاد النظر باسلوب عمله لكي يجعل من المفاوضات المباشرة بين الاسرائيليين والمصريين والسوريين واهل منظمة التحرير الفلسطينية ، اسلوبا مقبولا لعقد اتفاقات فك ارتباط جديدة واتخاذ خطوات اخرى على طريق التسوية النهائية وانهاء حالة الحرب مع اسرائيل .

ثانيا ـ ان السبب الرئيسي وراء ايقاف كيسنجر للمفاوضات بين الاسرائيليين والمصريين بوساطته يرجع الى احداث الهند الصينية والى هزائم عملاء اميركا في كل من كمبوديا والفيتنام ، والانتصارات الساحقة التي تكللت بها الثورة هناك ، ويليه في الاهمية التعنت الاسرائيلي ورغبة كل من مصر واميركا بعدم التورط باتفاقات هزيلة لا تصلح ان تتخذ ستارا للدعاية لاميركا وللتطبيل للاستسلام .

ثالثا ـ اما موقف اهل النظام السوري واهل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، والسوفيات والاحزاب الشيوعية العربية وكل الزاحفين على بطونهم والمتهالكين على المشاركة ببيع « فلسطين » ... اما موقف هذه الاطراف كلها ، فلم يستهدف افشال كيسنجر بقدر ما كان يمسك بطرف خيط لعبة التسوية الآخر ، ففي الوقت الذي كان فيه كيسنجر يواصل عمله ويسدي توجيهاته لكل من المصريين والاسرائيليين ، نشطت هذه الاطراف مستغلة جو الاثارة التي ولدها حضور كيسنجر الى المنطقة ، لكي تقوم بحملة اعلامية مكثفة ومركزة لاظهار « مؤتمر جنيف » وكانه البديل الوطني للسياسة والاسلوب الاميركيين في المنطقة ، وقد كشفت هذه الاطراف حقيقة موقفها ، حين راحت تتبارى متهالكة على كسب موافقة اسرائيل على التعاون من اجل انجاح مؤتمر جنيف !

رابعا ـ ان اهل النظام المصري ، باتوا يلعبون دورا كبيرا يميزهم عن غيرهم ممن تحاول اميركا تجنيدهم لخدمتها في منطقتنا . ولكي يستطيعوا ان يؤدوا دورهم على الوجه الاتم فهم بحاجة لستار من التضليل شانهم شان كل الضالعين مع الامبرياليين . اولا وان يربطوا قضية الانسحاب من سيناء بقضية الانسحاب من الجولان واقامة الدولة الفلسطينية في الضفة والقطاع ، لكي يستطيعوا ان يمارسوا ضغطهم ويسدوا توجيهاتهم لاهل النظام السوري واهل منظمة التحرير الفلسطينية ، ثانيا ، وانهم يخططون مع السعودية واميركا من جهة ومع سوريا ومنظمة التحرير من جهة اخرى والهدف من ذلك كله هو ان ينجحوا بانسحاب اسرائيل وانهاء حالة الحرب معها وجعل الكلمة الاولى للولايات المتحدة الاميركية في المنطقة كلها ، من

نفس الدور القديم

الخطوات موحدة

الخليفة سادات

الملك فيصل

الامركان

(٤) نايف حواتمة: مجلة الحرية البيروتية العدد ٦٥٠ في ١٩٧٣/١٢/١٧ .